الإجابة


بسم الله الرحمن الرحيم

مركز براهين لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية

الإجابة

القرآن وأسئلتك الوجودية

د. مهاب السعيد

دار الكاتب للنشر والتوزيع
Elkateb for Publishing and Distribution

الإجابة: القرآن وأسئلتك الوجودية

تأليف:د. مهاب السعيد

مراجعة لغوية: محمد عادل

الطبعة الأولى: يناير ٢٠١٦
رقم الإيداع: ٢٧١١١ / ٢٠١٥
الترقيم الدولي: ١-١٥-٦٥٤٥-٩٧٧-٩٧٨

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر (دار الكاتب) أو (مركز براهين) وإنما عن وجهة نظر المؤلف.

دار الكاتب للنشر والتوزيع – الإسماعيلية – مصر
٠١٢٧١٠٣١٢١٨(٠٠٢) – ٠١٠١٥٥٧٧٤٦٠(٠٠٢)
للتواصل: info@dar-alkateb.com - fb.dar-alkateb.com - t.dar-alkateb.com

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، ويشمل ذلك التصوير الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مضغوطة أو استخدام أي وسيلة نشر أخرى، بما في ذلك حفظ المعلومات واسترجاعها، دون إذن خطي من الناشر.

All rights are reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without prior permission of Publisher.
Dar-Alkateb for Publishing Distribution.

إهداء

إلى الإنسانة الأهم في حياتي، أمي الحبيبة التي وهبتني كل شيء، كانت وما زالت بالنسبة لي دائمًا مصدر الدفء والطمأنينة..

إلى أبي الغالي، الذي أحبه أكثر مما يظن، والذي هو قدوتي في كثير من مفاصل شخصيتي دون أن يعلم..

إلى زوجتي ومحبوبتي وصديقتي، والتي هي مصدر بهجتي، وقمري الذي يطلع كل مساء من نافذة الكلماتِ..

إلى أخي الأكبر المشاكس وأخواتي البنات الأربعة..

إلى معلمي الأول الذي همس في أذني أن أترك أثرًا قبل الرحيل..

وصديقي الأعز الذي قضى ليلة نابغيّة في مراجعة الكتاب.. ورفيقي المُفضّل صاحب اليوسفي..

وصديقي (الأنتيخ) القديم..

إلى رفاق دربي الثمانية..

المؤلف



«مركز براهين» لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية هو مركز بحثي مستقل، يعمل كمؤسسة غير ربحية مرخصة في لندن بالمملكة المتحدة، ويُعنى فقط بالعمل في المجال البحثي الأكاديمي لتوفير إصدارات متعددة (كتابية - مرئية - سمعية) على درجة عالية من الدقة والموضوعية والتوثيق يسعى من خلالها لتحقيق رسالته.

• رؤية المركز: عالم بلا إلحاد.

• رسالة المركز: المساهمة النوعية في تفكيك الخطاب الإلحادي ونقد مضامينه العلمية والفلسفية وأبعاده التاريخية والأخلاقية والنفسية والاجتماعية وبناء التصورات الصحيحة عن الدين والإنسان والحياة ومعالجة النوازل العقدية انطلاقاً من أصول الشريعة ومحكمات النصوص كل ذلك بلغة علمية رصينة وأسلوب تربوي هادف.

BRAHEEN
CENTER
for Studying Atheism
and Contemporary Issues of Faith

27 Old Gloucester Street, London,
United Kingdom, WC1N 3AX

• سياسة المركز: يعمل المركز بشكل أساسي على نقد أصول ومظاهر الإلحاد الحديث نقدا منهجيا، مع مراعاة البعد النفسي للمتلقين بمختلف فئاتهم، والحرص على تركيز النقد على الأطروحات الأساسية للخطاب الإلحادي الحديث. كما تنتهج مخرجات المركز أساليب الإفحام، والنقض، والدفاع وكذلك أساليب البناء والإقناع والهجوم وتقديم البدائل قدر الإمكان. وتنحصر مخرجات المركز بشكل رئيسي في ثلاثة مجالات عريضة: علمية، فلسفية، شرعية.

الموقع الرسمي: www.braheen.com

للتواصل والاستفسارات العامة: info@braheen.com

لمراسلة رئيس مجلس الإدارة: alshehri@braheen.com

فيسبوك: fb.braheen.com تويتر: t.braheen.com

يوتيوب: y.braheen.com انستجرام: i.braheen.com

مجرد مقدمة

هناك مثل إنجليزي قديم يقول:

''A jack of all trades is master of none''.

أي أن من يتعاط حِرَفًا كثيرة، لا يجيد شيئًا منها..! ويقابل ذلك عند العرب قولهم: "كثير الكارّات قليل البارات" والبارات هي الدراهم، أي أن من يعمل الكثير من المهن لا يملك الكثير من المال، باعتباره لن يجيد أيًّا منها.. بالطبع هذا لا ينطبق على بلادنا، ولا ينطبق على (عم جمال) حارس العقار الذي يمسح السيارات ويغير أسطوانة الغاز ويحمل الحقائب ويصلح السباكة ويجعلك تتحسر على راتبك كطبيب الذي بالتأكيد لن يتفوق على راتب عم جمال..

في المعرفة والقراءة هناك مثل لاتيني آخر يقول: "خذ حذرك من رجل الكتاب الواحد"، بالطبع ترجمت المثل مباشرة ولم أنقل أصله لأني لو اكتشفت أن أحدًا ممّن سيقرؤون هذا الكلام يجيد اللاتينية بالفعل فسيتوقف قلبي رعبًا..!

خذ حذرك من رجل الكتاب الواحد، لأنه ببساطة لن يكون رجلًا سهلًا على الإطلاق، هذا رجل أفنى حياته في تفاصيل هذا الكتاب (الذي سيكون كتابًا هامًا في العادة)، وأتقن كل معارفه..! كما كان يقول (بليني): "علينا أن نقرأ كثيرًا ولكن في كتب قليلة"..!

تشتهر هذه الهواية بين الكتّاب بشكل خاص، حيث أنه من أسهل طرق تنمية الكتابة هي العكوف على كاتب بعينه أو كتاب ما لحفظ وإجادة أسلوبه ومن ثم يبدأ من حيث انتهى هو ليضيف سماته الخاصة..

خذ عندك مثلًا (وليام جونز) الذي كان يتم قراءة أعمال (شيشرون) كل عام مرة..! لم يكن جونز هو المولع الوحيد بشيشرون، فحين سُئِلَ (أرنو) عن أفضل

وسيلة يمكن للمرء أن يكون فيها صاحب أسلوب جيد في الكتابة نصحه بالقراءة اليومية لأعمال (شيشرون) فقال له السائل: أنا أقصد الأسلوب الجيد في اللغة الفرنسية وليس اللاتينية، فقال له أرنو: "في هذه الحالة فإن عليك أن تقرأ أيضًا لشيشرون"..!

كان (ديموشينس) يستمتع بتاريخ (ثيوديوس) لدرجة أنه نسخه ثماني مرات بيده..! ومن جديد، لو كنتَ تعلم من هو ديموشينس أو ثيوديوس فسوف يتوقف قلبي أيضًا من الرعب.. وكانت كتب (ميكافيللي) لا تفارق يد (نابليون بونابرت)، وبنفس الحماس الذي جعل (بروتس) –الذي يعرفه كل واحد منا من عبارة يوليوس قيصر: حتى أنت يا بروتس– يقضي آخر ليلة له يلخص نسخة من (بوليبيوس) الذي كان يعشقه في الليلة التي سبقت معركته مع أوكتافيوس وأنطونيوس.. ويُقال أن (فولتير) كان يضع على مكتبه دائمًا نسخة من (أتالي) لـ (راسين)..

في تراثنا الإسلامي هناك نماذج أشد غرابة، فلدينا مثلًا كتاب (صحيح البخاري) الذي وقع في غرامه الكثير من المحققين الأوائل للدرجة التي تجعلهم يكررونه عشرات المرات، حتى كرره (سليمان بن إبراهيم اليمني) ١٥٠ مرة، وكرره (أبو بكر بن عطية) ٧٠٠ مرة..!

حتى في غير كتب السنة وقع مثل هذا الغرام، مثلًا (المزني) ظل ينظر في كتاب (الرسالة) للشافعي خمسين عامًا، بينما درس (ابن تبان) كتاب (المدوّنة) ألف مرة..! وأما (أحمد بن عمر اليماني) فقد اشتُهِرَ بمعرفة كتاب (الوسيط في الفقه الشافعي) للغزالي، حتى كان يعرف أين مكان المسألة فيه، وفي أيِّ صفحة هي، بعد أن أُصِيبَ بالعمى..!

لو كنت قد ضقت ذرعًا بهذه المبالغات التي لا تكاد تُصدّق في عشق الكتاب الواحد، فدعني أزيدك من الشعر آخر بيت، حين أذكّرك أن هناك من هؤلاء من تغيّرت

أسماؤهم بالكامل تبعًا لهذا العشق، فـ (جمال الدين الأشمومي) صار اسمه: (الوجيزي) من كثرة عنايته واهتمامه بكتاب (الوجيز في الفقه الشافعي) للغزالي، ولُقِّبَ (الزركشي) بـ (المنهاجي) نسبةً إلى (منهاج الطالبين) للنووي، بينما عُرِفَ (محمد بن سليمان محي الدين) بـ (الكافيَجي) لكثرة اشتغاله بـ (الكافية) في علم النحو..!

هؤلاء وأولئك من محبي الكتاب الواحد قد اختاروا طواعيةً ألا يلتفتوا للكثير من الكتب، وآمنوا من داخلهم أنه ليس كل ما هو مكتوب فهو جدير بالقراءة، تلك القاعدة التي نتعلمها نحن بالطريقة الصعبة حين نفني الكثير من أعمارنا في قراءة الهراء، وحين نتابع بشغف المهاترات الموسمية التي تنتهي بمرور الوقت وتفنى معها الأعمار والهمم..

في أحد أعداد مجلة (المختار) التي كانت ترجمة لمجلة (Reader's Digest) الأمريكية (أعلنت هذه المجلة إفلاسها منذ سنوات قليلة) كتب أحدهم مقالًا تافهًا لا يحوي أي شيء ذي قيمة طالبًا من قرّائِه أن يتجاهلوا هذا المقال..! من فضلك لا تقرأ هذا المقال، فهو لن يفيدك بأي شيء.. كذا ظل الكاتب طوال المقال يذكر قرّاءَه، واعتبر نفسه قد فشل إن استطاع أحد بالفعل في الوصول إلى آخره.. معنى أنك قرأت هذا المقال لآخره، أنك لن تستطيع أن تتجاهل أي شيء مقروء.. بمعنى آخر أنت قد ضعت يا صاحبي وسط ملايين العناوين المطبوعة التي لا تعنيك بشيء..!

على أن اختيارك للكتاب الواحد هذا قد يعني نجاحك أو فشلك المعرفي في الحياة، فلا أظن أنك تحب أن تفني عمرك في دراسة وتحليل أحد مجلدات (ميكي)..! وعلى ذكر (ميكي) عليك أن تتذكر أيضًا أن (هوي ودوي ولوي) –أو (سوسو ولولو وتوتو) كما نعرفهم نحن في مصر– كانوا يملكون كتاب (الكشّافة)

الذي يحوي كل شيء وكل سر في الحياة، من جديد فإن ثقافة الكتاب الواحد تتكرر في الوعي الإنساني بأبسط صور هذا الوعي: قصص الأطفال..!

مقوّمات اختيار هذا الكتاب نحتاج إليها فقط حين تكون البدائل متكافئة ومحيّرة، أما عند عدم تكافؤ هذه الاختيارات، وعند وجود الفجوة العملاقة بين إحداها والبقيّة، فإن ذكر مقومّات الاختيار وطرائقه يعتبر ضربًا من المزاح الثقيل، أو السخرية المقنعة.. إنه وكأني أحاول إقناعك أن وجبة اللحم المشويّة ذات الرائحة النفاذة والطعم الشهيّ أفضل من شطيرة الفول البارد التي أعدها لك (عم أشرف) بأصابع متسخة على عربة مهترئة في شارع يغرق في مياه الصرف..!

عند هذا التفاوت الكبير في الاختيار يتحول الأمر من عملية (ذوق) و(اجتهاد) إلى عملية (صواب وخطأ)، الأمر لم يعد راجعًا إليك في تحديد كتابك الواحد الذي ترغب به، الأمر صار اختبارًا عمّا إذا كنت ستنجح في اختيارك لهذا الكتاب تحديدًا أم لا..

وحين نتحدث عن القرآن الكريم، فإننا –لا شك تعلمون– لا نستطيع أن نضعه في مقارنة مع أي كتاب آخر، إذ أن القرآن كلام خالق الكون، إرشادٌ من الحكيم، إخبارٌ من علام الغيوب، تزكيةٌ من الحي القيوم، تربيةٌ من رب العالمين، ورسالته إلى ساكني هذا الوجود المترامي الأبعاد.. كما قال ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (النمل ٦).. القرآن ليس فقط الاختيار الصائب لكتابك الواحد ولكنه المفترض أن يكون هو الاختيار الوحيد..!

القرآن هو الكتاب الأمثل لفكرة الكتاب الواحد، فلو كان هناك كتابٌ يغني عن بقية الكتب فهو قطعًا هذا الكتاب المعجز: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ

يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت ٥١).. إن المتبحّر في علوم القرآن هو أولى الناس بالتحذير اللاتيني: خذ حذرك من رجل الكتاب الواحد..!

ꕥ

أريد أن أنتقل بك –اسمح لي– إلى منطقة أخرى من مناطق تقديمي لهذا الكتاب.. هل سبق لك أن شعرت أن هناك سؤالًا ما أو مجموعة أسئلة تشعر وكأنها أقرب لشفرة موحّدة قد بُرمجت عليها كل الكائنات البشرية..؟؟

لا أقصد طبعًا الأسئلة التي سألناها كلنا ونحن صغار مثل: لماذا السماء زرقاء..؟ لماذا يجب أن أذهب للمدرسة..؟ لماذا تحب سلاحف النينجا البيتزا إلى هذا الحد..؟ فصحيح أن هذه الأسئلة يشترك في الحيرة بشأنها كل البشر إلا أن دافعها الفضول وليس أكثر..

ولكني أتحدث عن نوعية الأسئلة الوجودية التي تتعلق بفهمنا للواقع الذي وجدنا أنفسنا فيه فجأة..! تلك الأسئلة التي (وجدنا) أنفسنا مغموسين فيها دون أن ندري.. حيث انزلق وعينا الإنساني الذكي بشكل مفاجئ من ذلك العالم الساكن الغامض الذي كان يحيا فيه حين لم نكن بعد شيئًا مذكورًا إلى عالم مادي واقعي تمامًا يمكننا فيه أن نشعر بهواء البحر، وبطعم الحلوى، وبرائحة الأزهار، وبصوت منبهات السيارات في الشارع المزدحم.. ونشعر أيضًا فيه بمذاق الجمال، وبدفء الحب، وبرهبة العجز وألم الخيانة..

وجدنا أنفسنا في عالم مادي أقل غموضًا مما يبدو في أذهاننا السريالية المليئة بالمعاني المجردة، مع وعي فريد أكثر تعقيدًا ممّا تحتاجه المتطلبات الحياتية..! حينها

بدأنا نتساءل: من أين أتينا..؟ وإلى أين سنذهب..؟ ترى ما المصير..؟ ترى من أوجدنا..؟ ترى ماذا يريده منا..؟

ثم قد تتخذ هذه الأسئلة طعم الاحتجاج أحيانًا..! لماذا رسبت في الاختبار ونجح زميلي..؟ لأنني اخترت ألا أذاكر.. إذًا لماذا أنا أقصر منه طولًا..؟ هل اخترت أنا أيضًا كذلك..؟ إذن هناك من الأشياء ما أختاره وهناك ما لا أختاره..!

نحن إذن في هذه الأسئلة أمام اختبار مفتوح المدة، أسئلته مشتركة تمامًا في معظمها.. على أن هناك اختلافات يسيرة فيها تبعًا لكل طالب، حيث أنك ترى أنه في النهاية كل منا لديه أسئلته الخاصة، ولربما يستعصي عليه شيء يكون يسيرًا جدًا على بقية الزملاء، ولربما العكس..!

هذا الاختبار هو أقرب لنوع الاختبار المفتوح، حيث يمكنك أن تدخل إلى لجنة الامتحان بكل ما تشاء من الكتب والمراجع والملخّصات.. ذلك النوع من الاختبارات التي تهدف إلى اختبار فهم الطالب للمعلومة وكيفية تطبيقه لها على الواقع، وليس قدرته على الحفظ والاسترجاع.. لم نعرف هذا النوع من الاختبارات في تعلمينا المجاني على كل حال، حيث قد يكون مستقبلك مهددًا بالخطر لو لم تستطع تذكّر السبب الذي كان من أجله يحب طه حسين أن يأكل البليلة..

على أن هذا النوع من الاختبارات ليس جنة للطالب، فبحسب دراسة أعدتها جامعة (نيو ساوث ويلز) في أستراليا: (UNSW)، فإن أكبر الأفكار الخاطئة التي يحملها الطلاب نحو الاختبار المفتوح هو أنهم ليس عليهم الاستذكار له، وأنه قطعة من الكعك في السهولة.. بينما الأمر ليس كذلك على الإطلاق..!

أوضحت الدراسة أيضًا أن الطلاب الذين لا يستذكرون قبل الاختبار المفتوح يعانون من مشكلة متكررة وهي عدم قدرتهم على إيجاد المعلومة داخل الكتاب أصلًا.. للدرجة التي تجعلهم يظنون أن المعلومة المراد الوصول إليها لا علاقة لها بموضوع الكتاب الذي دخلوا به إلى اللجنة، مع شعور بأنهم قد خُدِعوا..!

المسألة بسيطة.. أنت بالفعل لا تحتاج إلى أن تحفظ الكتاب عن ظهر قلب، ولكنك تحتاج كي تصل إلى ما تريده منه أن تفهمه فهمًا كاملًا وأن تكون قراءتك فيه متكررة وواعية ودقيقة.. فبالرغم من أنك لن تحتاج إلا إلى كتاب واحد –وقد سبق وشرحنا أهمية أن يكون لك الكتاب الواحد– إلا أن معاملتك وتناولك لهذا الكتاب يجب أن يكون مختلفًا حتى تحصل منه على كل أجوبة أسئلتك..

حتى لا تقع في الخطأ المتكرر الفادح وتخرج لتقول أن القرآن ليس به الجواب..!

بل أنت حينها فقط قد رسبت في الاختبار..!

تفاصيل وأسرار

(هي في الواقع مقدمة ثانية، ولكني أدعي العكس!)

امتلأت الثقافة الشعبية الغربية بقصص ألواح التوراة، وصارت مادة خصبة للخيال في نسج الأساطير حولها، نحن أمام الكتاب الوحيد الذي تواتر للبشر نزوله من السماء مكتوبًا كما هو، هذه قدسية خاصة بالتأكيد..

تحدثوا عن أن هذه الألواح تحتوي أسرار المخلوقات الأخرى الغيبية من غير البشر، أو أنها تحدد بوضوح موعد القيامة، وأنه ليس لأي أحد أن يقرأها..

ربما كانت من آثار هذه المبالغات الخيالية ما وصل إلينا عن بعض التابعين من أخبار إسرائيلية واضحة أن هذه الألواح كانت تزن سبعين بعيرًا وأنه لم يطلع عليها إلا أربعة منهم موسى وعيسى عليهما السلام..

الله أعلم بحقيقة هذه الألواح فعلًا إلا أن أقل ما يمكن أن نتفق عليها أنها مميّزة!

مما ذُكِرَ لنا في القرآن من ميزاتها هي أنها تحوي تفاصيل كل شيء، كما قال ﷻ: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف ١٤٥).. حتى قيل أنها كانت سبعة أجزاء رفعت ستة منها لما ألقاها موسى عليه السلام في لحظة غضب حين رأى قومه يعبدون عجلًا سمينًا لمجرد أنه له خوار..!

قيل أن هذه الأجزاء الستة كانت تحوي تفاصيل كل شيء فعلًا، وإنما بقي السبع الأخير فقط الذي يحوي المواعظ والأحكام.. على أن الأرجح عند الكثير من علماء التفاسير أن هذا غير صحيح، لقد كانت ألواح التوراة كاملة مع موسى عليه السلام، وكانت تحوي تفاصيل كل شيء كما ذكر القرآن، ولكن ليس بالمعنى المتبادر للذهن من كلمة (كل شيء)، بل المقصود كل ما ينفع بني إسرائيل من المواعظ والأحكام..!

على هذا المعنى فالقرآن الذي بين أيدينا يحوي كل شيء أيضًا، بل وأكمل وأنفع.. اللهم إلا أنه قد يكون أقل في تفاصيل تقرير الأحكام التي جعل الله ﷻ لنا

فيها مجالًا للاجتهاد في أمة محمد ﷺ لم يكن موجودًا مثله عند بني إسرائيل، وهذه رحمة لا شك مهداة إلى الأمة التي ستبقى حتى آخر الزمان بكل ما يشهده آخر الزمان من تغيرات وتطورات تستدعي الاجتهاد وتستدعي عباءة الأحكام الواسعة التي تدل على أن هذه الأمة قد أوتيت بالفعل مع كل عسر يُسران..

١٣٦ مرة هي عدد مرات ذكر اسم نبي الله (موسى) عليه السلام في القرآن.. ورد ذكره في ٣٤ سورة من القرآن..! أي تقريبًا ثلث سور القرآن.. ومع ذلك أنت لا تستطيع أن تعرف إن كان له من الإخوة أحد غير هارون وأخته التي راقبته من بعيد.. لا تستطيع أن تعرف إن كان وُلِدَ له من الأولاد أحد، أو عمّا إذا كان غنيًا أو فقيرًا.. لا تستطيع أن تعرف ماذا كانت مهنته بعد أن خرج من مدين، أو ماذا كان لباسه المفضل، أو كم تزوّج من النساء..

القرآن يعلمنا إذن أن نحرص على ما ينفعنا، وألا ننشغل بالسفاسف من الأمور، وأنه من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه..!

في الكتب التي نكتبها نحن البشر توجد علاقة عكسية بين كثرة التفاصيل وبين الإثارة والمتعة والتشويق، كلما كان المقال غارقًا في التفاصيل لكان هذا معناه أنه مثير للملل.. ربما لهذا السبب تشيع في الأدب السياسي ظاهرة الـ Time lapse حين يحلل الأديب السياسي ظاهرةً ما باستخدام المرور السريع على الأحداث، بينما في علم التحليل السياسي يشيع الـ Slow motion أكثر، حين يقوم المحلل السياسي بالوقوف بك على نقطة زمنية ولا يتزحزح عنها عدة عشرات من الصفحات لتصاب أنت بنوبة ملل عصبية وتموت..

لا توجد هذه المفارقة قطعًا في كتاب الله ﷻ، فهو يحوي كافة التفاصيل التي نحتاج إليها: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف ١١١).. في كتاب من مجلد واحد من ستمائة صفحة يمكنك أن تقرأه كاملًا في عدة أيام، بل ويمكنك أن تزور أصغر قرية من قرى بلدكم لتقابل الأطفال الذين لا يعرفون بعد كيف يقسمون بالعدل أربع برتقالات على اثنين، وبرغم ذلك يحفظون هذا الكتاب المعجز عن ظهر قلب، لا يتعثر لسانهم ولا تتداخل حروفه ولا تشتبه آياته على عقولهم التي لمّا تنضج بعد..! وهذا لأنه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ (القمر ١٧)..!

هذه التفاصيل القرآنية تتميز بالعزة حيث لا تظهر لأي أحد..! وبمنطق شبيه بلوحات متحف اللوفر التي نراها أنا وأنت فلا نفهم ما المثير للإعجاب في هذه اللوحة التي تحوي على ما يبدو قرصًا غير مكتمل من (الفلافل) يحيط به فطر عفن الخبز، قبل أن نسمع الخبير الفني بجانبنا يصيح بانبهار من الطريقة الموجزة التي شرحت بها هذه اللوحة أزمة الإنسان الحديث في المتطلبات الروحانية..! على ما يبدو تبين أن قرص الفلافل هي عجلة الوجود وعفن الخبز كان عفنًا حقيقيًا..! ربما الفرق بين موضوعنا وبين هذا المثال أنني حين أحدثك عن إجابات القرآن المخفيّة فأنا لا أنصب عليك بخلافهم..!

لذلك تجد أن هذه التفاصيل قد تكون داعيًا للجدال أو للكفر أو للنفور عند البعض..! كما قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ (الإسراء ٤١).. ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ (الإسراء ٨٩).. ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف ٥٤)..

فبالرغم من أنه كتاب لا يدخله الشك أو الريبة أو الاستثناءات إلا أنه لا ينتفع به حقًا أو يهتدي إلا من يستحق ذلك: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة ٢).. والانتفاع (الكامل) بكتاب الله ﷻ لا يكون إلا للمؤمنين به ﷻ..

على سبيل المثال تكثر في القرآن قصص الأنبياء التي لن ينتفع بها أحد بطبيعة الحال بقدر ما ينتفع المؤمنون، حينها يستطيعون أن يفهموا سنن الله ﷻ المبثوثة في هذا التاريخ المحفوظ في كتابهم المفضّل.. لذلك انظر إلى تخصيص المؤمنين بالنفع من القصص القرآني في هذه الآية: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (هود ١٢٠).. لأن من لا يؤمن بالقرآن سيعتبر هذه القصص من البداية ضربًا من الخيال البشري وسيتعامل معها كما نتعامل نحن مع الميثولوجيا الإغريقية التي تتحدث عن رأس ميدوسا ونهر الموتى والحصان المجنّح الوفي: مصدر تسلية فقط مع بعض منثورات الحكمة..!

ولكن بهذا المنطق فجمهور القرآن سيكون من المؤمنين فقط..! إذن ما تكون وظيفة القرآن..؟! أليس هو المعجزة التي أوتيها النبي ﷺ..؟ أليس هو كلام الله ﷻ الذي يسمعه الجميع فيعرف من يريد الله أن يهديه منهم أنه ليس بكلام البشر..؟!

ذكرني ذلك بصورة وجدتها على الانترنت تظهر كيسًا عملاقًا ومكتوب عليه بحروف كبيرة: سكر، ومكتوب عليه بالأسفل بخط صغير: خالٍ من السكر..! إذن ما الذي يحويه هذا الكيس الغامض..؟! هل رأيت من قبل من يحذّر مرضى الحمى الروماتيزمية من تناول الأسبرين..؟ أو يمنع مريض السكر من حقن الأنسولين..؟ سيحوز هذا على جائزة أفشل طبيب في العصر الحديث.. الدواء إنما صُنع لاستخدام المريض، فكيف تخبرني أنه لن ينتفع به..؟!

بالمثل فإن الله ﷻ قد وصف هذا القرآن بأنه شفاء، فقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ (يونس ٥٧).. والمريض هو أولى الناس باستخدام الترياق، فلا تخبرني أن الكافر لن ينتفع به، بل الحقيقة أنه لا يوجد ما هو أكثر نفعًا له من هذا الترياق، فكل ما سواه سيكون أقل منه، أنقص منه، أضعف بما لا يقاس، كما قال ﷻ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (المرسلات ٥٠).. أي: بأي شيء آخر تراهم ينتفعون بعد هذا القرآن..؟؟ الإجابة: لا شيء..!

لذلك فلا عجب من أن نجد أن مهمة النبي ﷺ الدعوية تكاد تكون اقتصرت على تلاوة القرآن وتبيينه للناس..! ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۞ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ (النمل ٩١-٩٢)..

ليس هذا معناه أن مجرد وقع الكلمات لها تأثير سحري على الناس، وإن كان هذا موجود بالفعل لدى الكثيرين حتى بين غير الناطقين بالعربية منهم.. إلا أن حجة الله ﷻ على عباده لا تقوم بمجرد وصول الألفاظ المجردة، ولكن بفهمها أيضًا، فنحن لا نتحدث عن تعاويذ سحرية مثل تعاويذ التحكم في قصص هاري بوتر، وإنما عن معانٍ حكيمة تشتمل على رؤوس الحجج العقليّة والمحاجات المنطقية مختلطة بالأحاديث العاطفية التي تمس حاجة الإنسان من الداخل ويشعر بأنها تفهمه وتجيبه دون أن يسأل، ويشعر أنه مرحّب به كضيف أتى من بعيد في بيت دافئ وسط صحراء الحياة الجرداء في ليلة باردة..

في حالة القرآن فأنت تقوم مع الكافر أو الحائر أو المسلم المتشكك أو الباحث عن الجواب (وفي هذه الحالة فإن هذا الشخص قد يكون أنت) بمهمة تهيئة جهاز المذياع المُلتَقِط لموجات الراديو، أنت لا تتدخل في هذه الموجات لتغيّرها حتى

تلائم طبيعة أحد، ليس لك أن تفعل ذلك، ولا يحق لك أن تتحرج مما جاء فيها أصلًا: ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ﴾ (الأعراف ٢).. أنت تقوم بضبط جهاز الاستقبال للآيات الحكيمة القادمة بوقار من السماء، تشرح أنت معنىً مبهمًا، توضح لفظًا مشكلًا، تتخير من الآيات ما هو أنسب لحاله، تتخير من الحجج ما يجيب على سؤاله، تتكلم معه بأمثلة من حياته فيما يوافق هذه المعاني المترددة في الموجات، ثم تترك المجال بعد ذلك لتلك المعجزة أن تقوم بأثرها، إن كان الله يريد أن يهديه فمن تراه سيمنع عنه ذلك..؟!

ما سبق من الكلام يمكن أن نستخلصه في أن القرآن حجة سماعية ملزمة للمؤمن إذا قيل له: قال الله كذا، قال سمعنا وأطعنا، هذا هو ما علينا أن نتوقعه من المؤمن.. وأما الكافر فلنا أن نتوقع ألّا تمثل له آيات القرآن إلزامًا في طاعته، ولكن سيبقى القرآن حجة عقلية كاملة عليه هو أيضًا، وستبقى حجج القرآن العقلية مطلقة القوة والجلاء، يختبر الله ﷻ بها العباد، أيهم يستمع الهدى فيتبعه، وأيهم يتبع هواه..! ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر ١٧–١٨)..

القرآن فيه تفصيل كل شيء للحائر عن الجواب..

فيه الهداية والإرشاد للباحث عن التقوى والرشاد..

فيه الشفاء لمن به مرض عضال..

فيه الكفاية للسائل عن الحجة..

أخبرني إذن... من أنت من هؤلاء؟ وأتيت هنا تبحث عن أي شيء؟؟

الموضوع	الصفحة

الفهرس

مجرد مقدمة ٨

تفاصيل وأسرار ١٦

حين يتكلم الإله

..... ٢٤

١- أفضلها هكذا ٢٩

٢- المادية والتجريبية ٣٠

٣- فقط، انظر بجانبك ٣٢

٤- الرمزية..... ٣٣

٥- كما يحب أن يقولها..... ٣٥

٦- حديث من المتعال ٣٧

٧- الواقعيّة الحكيمة ٣٩

٨- البلاغة التي ننتظرها ٤١

٩- قشعريرة متقطعة ٤٣

الموضوع	الصفحة

١٠- الثنائيّات الداعمة ٤٦
١١- إنه يقرؤني ٤٨
١٢- الأجزاء الصغيرة ٥٠

السؤال الأحمق

(عن سؤال: هل يوجد إله)

..... ٥٤
١- الامتلاك المتفرد ٦١
٢- الهشاشة ٦٣
٣- العناية ٦٨
٤- الوجود كما اعتدناه ٧٧
٥- الجمال ٨١
٦- روعة الاتزان ٨٣
٧- إحكام فائق ٨٧
٨- اختلاف ٩١
٩- طاعة الوجود ٩٨
١٠- الاهتداء ١٠٣
١١- المشاعر ١٠٧
١٢- الإنسان المرفّه ١٠٩
١٣- الفناء ١١٢

الموضوع	الصفحة

١٤- القيم التي بداخلك ١١٥
١٥- الإنسان الذي يتعلم ١١٧
١٦- البدائل المستحيلة ١٢١

السؤال الأشد حمقًا

(عن سؤال: من خلق الله، وعن صفات الله، وأشياء شبيهة)

..... ١٢٨
١- الصمديّة ١٣٢
٢- عليك أن تيأس ١٣٤
٣- الإنسان المفعول به ١٣٧
٤- مسكنة الحواس ١٤٠
٥- الظاهر والباطن ١٤٢

الذين رسبوا في اختبار الخط

(عن شبهات الربوبيين، والغاية من الخلق)

..... ١٤٥
١- المحطة الأولى: لا يوجد إهمال ١٤٧
٢- المحطة الثانية: ولا يوجد لهو ١٥٠
٣- المحطة الثالثة: لا توجد عبثيّة كذلك ١٥٢
٤- المحطة الرابعة: وهذه الغاية ليست فاسدة ١٥٥
٥- المحطة الخامسة: الإعلام بهذه الغاية ١٥٧

الموضوع	الصفحة

الحاسة الأولى

(عن سؤال: لماذا يكون الإيمان بالغيب)

..... ١٦٠
١- حتميّة ١٦٣
٢- واختيار من الله ١٦٥
٣- واستخراج ١٦٧
٤- مطالب من فاقدي الأهلية ١٧٢

آلهة خرافيّة

(عن وحدانيّة الله عز وجل)

..... ١٧٦
١- نمط الخليقة الموحّد ١٧٩
٢- الكمال لا يتعدد ١٨٣
٣- متعة الاتجاه الواحد ١٨٨

التشخيص: مجرد غرور

(عن سؤال: لماذا خلقنا وهو لا يحتاجنا)

..... ١٩٢
١- عن البلاء ١٩٤
٢- عن العبادة ١٩٧
٣- عن الغرور ١٩٩

الموضوع	الصفحة

مُغمِضُو الجفون في القطار السريع

(عن البعث واليوم الآخر)

..... ٢٠٣

١- ما هو أهون ٢٠٧

٢- أنت تراه في الدنيا ٢٠٨

٣- حين يكتمل العدل ٢١٢

٤- خيارات غير متكافئة ٢١٦

النعمة التي يُساء فهمها

(عن أسئلة القدر)

..... ٢٢١

١- حتميّة الإرادة الإلهية ٢٢٧

٢- عن إرادة الإنسان ٢٣٠

٣- على مواقع القدر ٢٣٢

٤- السرّ ٢٣٥

والشرّ ليس إليه

(عن سؤال وجود الشرور والآلام في الدنيا)

..... ٢٣٨

١- عن الدنيا التي لا تستحق ٢٤١

٢- عن النعم التي هي أكثر ٢٤٨

الموضوع	الصفحة

٣- عن ضريبة الحرية البشرية ٢٥٤
٤- عن الشر الذي هو ليس كذلك ٢٥٩
٥- عن الحكم التي قد تخفى ٢٦٣
٦- عن لغز إدراكنا لمعنى الشر..... ٢٧١
٧- عن الشر الذي هو أهم مما يبدو ٢٧٤

الطريقة

(عن النبوّات والوحي والرسالة)

..... ٢٨٠
١- أمة واحدة ٢٨٣
٢- هم..... ٢٨٨
٣- بشريّون ٢٩٣
٤- الأدلة ٢٩٧
٥- التعامل الإلهي ٣٠١

المُخدّر الأنيق

(عن نتائج العلم التجريبي)

..... ٣٠٦
١- زاوية الرؤية ٣٠٩
٢- خطايا التعامل مع العلم ٣١٤
٣- خارج النطاق ٣٢٣

الموضوع	الصفحة

٤- عن فاعليّة الأسباب ٣٣٢

العدل الإلهي

(عن قيام الحجة ووجود العذاب في الآخرة)

..... ٣٣٧
١- الأربعة ٣٣٩
٢- الذهول ٣٤١
٣- الرعب ٣٤٦
٤- الاعتراف ٣٥١

أخطر أنواع الطمأنينة

(عن الأديان)

..... ٣٥٧
١- أكسل أسس الاختيار ٣٦٢
٢- صراع الحق والهوى ٣٦٦
٣- المدرسة الإبراهيمية ٣٧٠
٤- العناكب ٣٧٣

مجرد خاتمة ٣٧٩
المراجع ٣٨١
الفهرس ٣٩٠



دار الكاتب للنشر والتوزيع
Dar Alkateb for Publishing and Distribution